

أدونيس في «اليسوعية»: نحن في الفراغ.. في الصفر!

يعيشون في عالم محكوم بالعنف. لسنا أنفسنا ولسنا غير، نحن في الفراغ، نحن في الصفر» قال أدونيس. أما في ما يخص السؤال الجوهرى في المحاضرة أي كيف يغير الشعر، فرأى بأنه لا بد من البدء بالبحث في الواقع ومعرفته، فالشعر ينطلق من الواقع ولا ينفصل عنه. وذهب بعيداً معتبراً أنه لم يعد هناك أي معنى للشعر في واقعنا أو في ما يندرج في سياق ثقافتنا القائمة. وأضاف أن الشعر يغير أو غير تاريخياً في العلاقات بين الكلمات، وتفريخ المحتويات والعلاقات القديمة بينها لإنشاء معنى جديد وبالتالي إنشاء وعي جمالي جديد، ما ينعكس في علاقة الإنسان بالكلمة والشيء وما يحسب عليهما.

الحوار شغّب توجه المحاضرة إلى مفردات ملحّة كالهوية وإشكالية الشعب/الفرد والخطاب الأيديولوجي السائد. واقترح أدونيس إلغاء مفردة الأقلية من المعجم السياسي لأن «الفرد هو الأساس». وأشار إلى أن لا إيمان عنده بالجمهور والشعب والخطاب الأيديولوجي؛ فكل أيديولوجي يتحدث عن حزبه. وفي النهاية، اعترف بأن السينما والمسرح والتشكيل اليوم فنون تغير أكثر من الشعر الذي يمر في «حالة مضعفة». وأخيراً قرأ على الحضور قصيدتين من «أغاني مهيار الدمشقي».

نهاية الاحتفالية كانت مع عرض مسرحي يجسد قصيدة أدونيس «الغائب قبل الوقت» أخرجها عضو «فرقة زقاق» عمر أبي عازار. تمت تأدية العرض من خلال قراءة القصيدة تتابعاً بالعربية والفرنسية على إيقاع وتري وتحت ضربات سكين متتالية على لوح خشبي تصعيداً للقصيدة وتمثيلاً مسقطاً لمفرداتها في التاريخ والحاضر وحلم التغيير. وصف العرض مشكلة الآخر، والأن، والعلاقة المضطربة بين الأصول والمعيش... مفردات تقع في صلب التاريخ الأدونيسي؛ «هذي نازنا، هذا شرادق الأخرى والزمن الأعرج قرن ثور يموت».



التغيير الذي لن يبقى لديه في أقصى ما يمكن إلا أن يشرح ويؤول ويطيع ويطبق. وأوضح أيضاً إشكالات أصيلاً في الثقافة الإسلامية السائدة ألا وهو «الأخر»؛ فهو عمقياً غير موجود إلا منبؤاً، والمسيحي مثلاً منهوب

أخرج عمر أبي عازار عرض «الغائب قبل الوقت» المستوحى من قصيدته

ومحروق ومسببٍ فيها وغائب عن المشهد ككل، وهو الذي كان مكوناً حضارياً متجذراً في هذه المنطقة وفق أدونيس.

«الإسلام بلا ثقافة الآن والمسلمون العرب في عالم ديني بلا ثقافة، وثقافتهم مستلبة متأثرة بالغرب،

تشكل مرتكزاً في تاريخ أدونيس وسجلاته المستمرة. قدم الشاعر عبده وازن صاحب «مفرد بصيغة الجمع» في هذه الحلقة الحوارية، واصفاً إيها بـ «محطم الأيقونات وصاحب المقولات الزلزالية في الفكر العربي الجامد»، و«صاحب الآراء السجالية» التي كان آخرها موقفه من الربيع العربي لاسيما في صيغته السورية. اعتبر وازن أن سياق مسيرة أدونيس يتوافق ويتكامل فكرياً مع طرح ماركس بتحويل العالم، أما شعرياً فهو يتشابه وتغيير الحياة عند شارل بودلير.

أما أدونيس، فقد افتتح الحوار بتوطئة، فضل فيها ما يمكن أن يكون موجزاً عن قضايا طرقها طويلاً في مؤلفاته الفكرية. وفي البدء كان السجل عن الشعر والفكر: هل هما منفصلان أم متحدان؟ أجاب بأن لا فصل هنا، إلا أن الحاسة تفكر والفكر يحس، وأن كل شعر هو فكر منذ مطالع الآداب مع جلامش والأوديسة وسفر أيوب. بعدها، عرج على مفارقة تأسيسية في فكره، ألا وهي التعاطي مع الجذور والأصول التي لا يكون بتجاهلها بل باعتبارها مشكلاً أساساً؛ إذ «اللامرئي جزء من المرئي».

رؤية الواقع الثقافي، ما هذا الواقع؟ كان لجواب أدونيس تفرعان، حيث تقوم الثقافة السائدة الآن على أمرين: ثقافة النقل/الاستعادة، وثقافة النقل الاستعارة. الثقافة الأولى هي ثقافة السلطة - كما سماها - وهي لا تعتمد الحوار والنقاش والبحث طريقتاً لمجاهاة عراقيلها. أما الثقافة الثانية فمتبعة مستتعبة تركز على الحلول الغربية للحصول على أجوبة في شؤونها. وتابع أن الملمح الأبرز حالياً أن العرب فكرياً «منقسمون ماضوياً لا مستقبلياً»؛ أي أن الخلاف ليس حاصلًا على أساس تنافس على سلطة أو منصب، بل هو واقع في الارتباط مع الإسلام الأصل وتحقق الصلة الأمثل معه. وهذا الخلاف متمثل في جوانب عدة أولها التأويل، وبالتالي امتلاك الحقيقة الأصوب، وهو ما يعزّز حكماً توجهها دون آخر عند معتقديه. وهذا برأي أدونيس صادر عن ختام الحقيقة في الإسلام حيث محمد خاتم الأنبياء، والحقائق التي أتى بها هي آخر الحقائق، ما يستتبع انعدام دور الإنسان في

ضمن مؤتمر «الفن مضاد للقدر» الذي احتضنته «جامعة القديس يوسف» أخيراً. كنا على موعد مع مهيار. لقاء تناول الشعر، والواقع الثقافي، والإسلام وغيرها من الثيمات التي تشكل مرتكزاً رئيساً في تاريخه وسجلاته المستمرة

علي كريم

أدونيس «ثابتاً» ومكرساً مرة جديدة في بيروت، بدعوة من «جامعة القديس يوسف» التي احتفت بالشاعر المفكر ضمن مؤتمر «الفن مضاد للقدر» الذي أقيم أخيراً في الجامعة. انطلاقاً من عبارة أندريه مالرو الشهيرة «الفن مضاد للقدر»، ضم البرنامج الذي قسّم على يومين (1 و2 أكتوبر)، محاضرات ولقاءات فنية وسينمائية وشعرية ومسرحية متنوّعة. اليوم الأول شهد محاضرات ولقاءات عدّة مع أحد مؤسسي Art Reoriented اللبناني سام بردويل، ومخرج فيلم «غدي» أمين درّة وغيرهما ليختتم بعرض «حرية التعبير» في «مسرح مونو». أما انطلاقاً اليوم الثاني فكانت مع الفنان نديم كرم ضمن محاضرة «طفرة المدن سريعة الزوال». بعدها، قدم الأكاديمي جورج سلهب محاضرة بعنوان «أدونيس والتجديد في النظرية الشعرية». هنا، قارب أبرز مكونات الشعر الأدونيسي؛ حيث الرفض والرحيل والحلم منطلقات لعلاقة متشاكسة طال أمدها مع هاجس التجديد الشعري، والبحث في واقع عربي متردّد. وفق سلهب، تعددت ملامح الرفض عند أدونيس حيث الاستكشاف والتفكّ والتفكّ والصورة البكر، والثورة شعراً وعاطفة وفكراً في سبيل التغيير المنشود. ثم استحضرت نماذج من التجارب الحداثوية عالمياً كالسوريالية ورموزها أندريه بروتون وبول إيلوار وغيرهما، وأقام مقارنات بينها وبين النص الأدونيسي، ليخلص إلى توصيف حالة من التفكّ والاستسلام للدفق الشعوري عند أدونيس، حيث اللغة وسيلة الاستكشاف والحدّة.

أما الموعد المنتظر مع أدونيس، فقد احتضنته «المكتبة الشرقية» في الجامعة تحت عنوان «هل يقدر الشعر أن يغير؟ ماذا يغير؟ وكيف؟». أسئلة